دور التنشئة الأسرية في تنمية ظاهرة العنف ضد المرأة في المجتمع العراقي
الأسباب والنتائج والمعالجات – دراسة تحليلية

م.م. نعيم حسين كزار البديري

جامعة بابل/ كلية الآداب

The role of the family upbringing in promoting the phenomena of violence against the woman In the Iraqi society
The causes, the results and treatments

Assistant Lecturer Naeam Hussein Kazar

College of arts /Babel university

Namegaf@gmail.com

ABSTRACT

The phenomena of violence against the woman is one of the social problems which Iraqi society suffered from, and it expresses about problems of social construction, its cultural concepts, social and legitimate, the crisis have contributed that Iraqi society suffered from for many past decades to reveal this problem and its aggravation on the level and methods of social upbringing at the Iraqi family. it is so necessary to study this phenomena and put solutions and treatments suitable for it.

Keywords :Nurture Development, Phenomenon, Violence, Woman Role,

الملخص:

ظاهرة العنف ضد المرأة من المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع العراقي وهي تعبير عن إشكالية في البناء الاجتماعي ومفاهيمه الثقافية والاجتماعية والتشريعية ساهمت الأزمات التي عانى منها المجتمع العراقي لعقود مضت في إشاعة هذه المشكلة وتفاقمها تركت آثاراً معقدة على المستوى وأساليب التنشئة الاجتماعية في الأسرة العراقية. فأن من الضروري هو دراسة هذه الظاهرة ووضع الحلول والمعالجات المناسبة لها.

الكلمات المفتاحية: الدور, التنشئة, تنمية, ظاهره, العنف, المرأة

المقدمة:

يشكل العنف ضد المرأة اليوم قضية محورية في حياتنا المعاصرة ومظهر من مظاهر انتهاك حقوق الإنسان وهو بلا شك يهدد نوعا إنسانيا ألا وهو الأنثى أو المرأة, مما دفع الكثير من الباحثين ومن المهتمين بشأن المرأة إلى تناول هذه المشكلة في الكثير من نشاطاتهم الاجتماعية والأكاديمية لما لهذه المشكلة من تأثير على المرأة بوصفها إنسانه وعلى استقرار الأسرة ونمو المجتمع وتقدمه. فالبعض من الرجال والأسباب عديدة اجتماعية كانت أو حضارية أو مرضية يتعاملون بعنف مع اقرب الناس و أحبهم إليهم كالزوجة أو البنت أو الأخت, كأسلوب للسيطرة والهيمنة ولغرض إخضاع المرأة داخل الأسرة بالقوة, وكتعبير من النظرة الدونية للمرأة, والمجتمع العراقي يعاني من هذه المشكلة الاجتماعية التي تكمن الكثير من جذورها وأسبابها الحقيقية داخل البناء الاجتماعي ومفاهيمه الثقافية والاجتماعية والتشريعية التي تقدم نوعا من الوعي الزائف للمرأة والرجل بالذات وذات الآخر مما يجعل الرجل يحط من قدر المرأة ويصادر شخصيتها و حقوقها. وما زالت العادات والتقاليد لها دوراً سلبياً في إدامة زخم هذه المشكلة الاجتماعية وتعتبره سرا من أسرار البيوت مما يضع المرأة في خانة المظلومية والتعسف, ان بحثنا هذا يسلط الضوء على مشكلة اجتماعية أخذت بالتفاقم في ظل ظروف استثنائية يمر بها المجتمع جعل هذه المشكلة في مجتمع مأزوم كالمجتمع العراقي مثار جدل حاد بين أصحاب الاختصاص لذا فقد أوليت اهتماما خاصا بموضوع العنف ضد المرأة والجذور التاريخية لها العنف وما هي الاتجاهات السوسيولوجية المفسرة لهذا العنف وكذلك إشكالية العلاقة بين العدوان والعنف.

أولا: مشكلة البحث Research Problem

تعد مشكلة العنف ضد المرأة من المشاكل القديمة التي عانت منها المرأة ولا زالت نتيجة لسياقات وظروف اجتماعية واقتصادية ساعدت على ذلك تعدد الأزمات التي مر بها المجتمع العراقي عبد عهود مضت تركت أثارها على المؤسسات البنيوية والمنظومة القيمية والمعيارية وعلى أساليب التنشئة الاجتماعية في الأسرة العراقية من خلال استدخال قيم جديدة وإحداث تغيرات في الثقافة الاجتماعية على مستوى الفرد ومن خلال التراث الضخم للثقافة العراقية وطبيعتها المبنية على التعلم ونقل القيم والأفكار من جيل إلى جيل آخر يصبح الفرد أكثر قدرة وتهيأ وبشكل تدريجي وحسب مراحل العمرية على تلقي الأفكار الجديدة ويبدوا أكثر اعتناقا لها خاصة إذا ماذا خاطبت ميوله ورغباته, وتتم كل هذه التحولايت القيمية من خلال أسرة الفرد باعتبارها الناقل الأول لهذه القيم لاستدخالها بالفرد ثم تبدأ عملية توزيع الأدوار ضمن هذه الأسرة والتخصص وتقييم العمل التي تعد انعكاساً للتنشئة الاجتماعية, وبفعل علاقات القوة داخل النسق الأسري التي هي انعكاس لبناء القوة القائم في المجتمع الإنساني هذا البناء الذي يعزز من علاقات الهيمنة والسيطرة والقهر الاجتماعي في المجتمع تنو ظاهرة العنف ضد المرأة.

ثانيا: أهمية البحث Research important

تأتي أهمية البحث من الخطورة التي تنطوي عليها مشكلة العنف ضد المرأة كونه يشكل انتهاكا لحقوقها بشكل خاص وخرقا لكل المعاهدات والمواثيق الدولية التي أولت كيان المرأة اهتماما ورعاية خاصة. كذلك تأتي أهمية البحث لتناوله موضوعا حيويا يمس اخطر مؤسسة اجتماعية في المجتمع وهي الاسرة وما يتعلق بدورها في التنشئة وكيف انحرفت هذه التنشئة عن مسارها الحقيقي الى مسار اخر عمل على تهيئة وخلق جملة من التوترات اصابت كيان الفرد في الاسرة مما اسهم في انتاج ظاهرة العنف ضد المرأة.

وبناءا على ماتم طرحه يعد هذا البحث من نمط الدراسات الوصفية التحليلية التي تهدف الى الكشف عن المشكلات والظواهر الاجتماعية لتحليلها بشكل اكثر شموليه عسى ان تنفع تلك التحليلات وما يتم يتناوله في هذا البحث في الاجابة عن تساؤلات يمكن ان تفيد المهتمين بشأن المرأة او الجندر من الباحثين والمختصين بهذا الشأن.

ثالثا: اهداف البحث Research Objective

تنحصر اهداف البحث في الاتي:

1- التعرف على التنشئة الاسرية والاجتماعية ودورها في تنمية ظاهرة العنف ضد المرأة.
2- التعرف على الجذور التاريخية لظاهرة العنف ضد المرأة.
3- التعرف على اشكالية العلاقة بين العدوان والعنف.
4- القاء الضوء على الاسباب المؤدية الى العنف ضد المرأة.
5- تقديم التوصيات الممكنة لمعالجة هذه المشكلة.

رابعاً: أسلوب البحث Research Manner

يعتمد البحث على المنهج الوصفي (Descriptive Analysis) المقترن بتحليل المعلومات المتعلقة بأسباب تفاقم هذه الظاهرة في المجتمع العراقي وكيفية معالجتها والحد منها.

خامساً: حدود البحث Research Border

1. الحدود العلمية: أقتصر البحث على دراسة دور التنشئة الاسرية في تنمية ظاهرة العنف ضد المرأة.
2. الحدود المكانية: العنف ضد المرأة في المجتمع العراقي.

المبحث الثاني / تحديد المفاهيم

أولا: الدور Role

هو السلوك المتوقع من الفرد في الجماعة وهو الجانب الحيوي الذي يجمع الى جانبه العناصر الفيزيقية.[1] في حين يرى العالم (كوترل) ان الدور ما هو الا (سلسة استجابات شرطية متوافقة داخليا لأحد أطراف الموقف الاجتماعي. تمثل نمط التنبيه في سلسلة استجابات الاخرين الشرطية المتوافقة داخليا بنفس الطريقة في هذا الموقف[2]. اما العالم (رالف لنتون) يعد من ابرز العلماء الذين حاولوا ان يضعوا تعريفا دقيقا وواضحا للدور دون ان يكتنفه التباس او غموض فهو يعرف الدور(بانه الجانب الديناميكي للمركز الذي يلتزم الفرد بتأديته كي يكون عمله سليما في مركزه)[3].

ثانيا: ألتنشئة –Nurture

تعني التنشئة في التعبير والتفكير العربي – الاسلامي " "أنسنه الادمي بواسطة عملية المربى " أي ان المولود الجديد كان يسمى حسب منطق ابن خلدون بالأدمي نسبة الى نبينا ادم عليه السلام وبعد خضوعه لعملية " المربى " التي يتعلم فيها ويكتسب منها انماط التصرف المسترشدة بالضوابط المعرفية (معايير وقيم وتقاليد) السائدة, يسمى بعدئذ (حسب منطق ابن خلدون) بالإنسان بعد خضوعه لعملية المربي.

فالتنشئة نعني بها تحويل الكائن البيولوجي الى شخص اجتماعي عبر جماعات اجتماعية متنوعة في نوعها لكنها مترابطة في وظائفها [4]. وقد عرف معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية النشيئة الاجتماعية (بانها العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل الى جيل. والطريقة التي يتم بها تشكيل الافراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة, ويدخل في ذلك ما يلقنه الاباء والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة ودين وتقاليد وقم ومعلومات ومهارات.[5]

ثالثا: الاسرة – Family

يمكن تعريف الاسرة الانسانية انها جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة (يقوم بينهما رابطة زواجية مقررة) وابنائهما ومن اهم الوظائف التي تقوم بها هذه الجماعة,اشباع الحاجات العاطفية وممارسة العلاقات الجنسية, وتهيئة المناخ الاجتماعي الثقافي الملائم لرعاية وتنشئة وتوجيه الابناء[6]. فالاسرة منظومة اجتماعية صغيرة تتألف من الزوج والزوجة والافراد وتتكون بينهم روابط قانونية واجتماعية واخلاقية وروحية وتعتبر نواة المجتمع والركن الاساسي في كيانه كما انها وحدته الاساسية حيث يتكون منها البناء الاجتماعي العام كما انها مؤسسة دائمة ومستمرة تعتمد على اواصر الدم والمصير المشترك[7]. وتمتاز الاسرة بانها مؤسسة تقوم بتعيين الادوار بين افرادها تلقائيا[8]. وهي المصدر الاول لتوفير الاحتياجات الاساسية للفرد. وتعتبر وحدة التفاعل الاجتماعي بين افرادها وبقية افراد المجتمع وتمتاز الاسرة بأنها تمارس اساليب وقواعد الضبط الاجتماعي الرسمي وغير الرسمي على افرادها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية[9].

رابعا العائلة: Family

ان العائلة " جماعة تتكون من الابوين واطفالهما" وهذا ما يميز مصطلح (الاسرة) كما يطلق عليها بعضهم. حيث ان تسمية العائلة تشترط ان يكون ثمة اشخاص وهم(الابناء) يعيلهم الزوجان, وكما جاء في مختار الصحاح (عال عياله) أي قاتهم وانفق

(1) احمد زكي بدوي / معجم العلوم الاجتماعية, مكتبة لبنان, بيروت. 1977, ص395.
(2) محمد عاطف غيث, قاموس علم الاجتماع,الهيئة المصرية العامة للكتاب, الاسكندرية,1979, ص390.
(3) صالح محمد علي ابو جادو / سيكولوجية التنشئة الاجتماعية, دار المسيرة, عمان, 1988, ص19.
(4) د. معن خليل عمر: التنشئة الاجتماعية, دار الشروق للنشر والتوزيع, 2004, ص170.
(5) د. عبد علي المالكي: مدخل الى الانثروبولوجيا الاجتماعية, مطبعة النجف الاشرف, ط1, 2007, ص177.
(6) محمد عاطف غيث / قاموس علم الاجتماع, مصدر سابق.
(7) منى يونس بحري / العنف الاسري, دار صفاء للنشر والتوزيع, عمان, 2011, ط1, ص15.
(8) منى يونس بحري / المصدر نفسه,ص16.
(9) محمد سعيد فهمي / العنف الاسري, المكتب الجامعي الحديث, ط1, الاسكندرية, 2012, ص14.

عليهم[1]. وتقوم العائلة بعملية حفظ النسل (الانجاب) والتنشئة الاجتماعية ويتعلم الطفل من عائلته بذور الحب والكره والغيرة والإيثار والتعاون والتنافس والتسلط والخنوع واحترام الملكية الفردية والجماعية, والادخار والاسراف وغير ذلك من العمليات الحياتية.[2]. وتتصف العائلة العربية عامة والعراقية خاصة بأنها عائلة موسعة, يكون النسب والسكن فيها ابوي, وسلطة الاب فيها مطلقة وسيادته على العائلة, والزواج فيها داخلي –ضمن العائلة – ولو ان هناك اتجاها للزواج الخارجي, وتعدد الزوجات.[3]

خامسا: التنمية – Development

التنمية هي مفهوم معنوي يعبر عن عملية ديناميكية تتكون من سلسلة من التغيرات الوظيفية والهيكلية في المجتمع[4]. كما تعرف التنمية بانها انبثاق ونمو كل الإمكانيات والطاقة الكامنة في كيان معين بشكل كامل وشامل ومتوازن سواء كان هذا الكيان فردا او جماعة او مجتمع[5].

ومن التعاريف التي وضعت للتنمية تعرف الامم المتحدة وهو " التنمية مجموعة من الوسائل والطرق المستخدمة بقصد توجيه جهود الناس مع السلطات العامة من اجل تحسين مستوى الحياة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع القومية والمحلية واخراج هذه المجتمعات من عزلتها لكي تشارك ايجابيا في الحياة القومية ولتساهم في تقدم البلاد[6]. اما (دراونوسكي Drewnowski) فيعتقد ان التنمية حقيقة اجتماعية اقتصادية واحدة فقط, حيث ان العلامة الوثيقة بين العناصر الاجتماعية والاقتصادية تحول دون اية تنمية اجتماعية او اقتصادية بحتة[7]

سادسا: الظاهرة – Phenomenon

ورد تعريف الظاهرة في معجم علم الاجتماع بانها أي موضوع او واقعة يمكن ملاحظتها او التعرف عليها عن طريق الحواس[8].

وتعتبر المعالجة الكلاسيكية للظواهر الاجتماعية هي معالجة دوركايم الذي اعتبر الظاهرة الاجتماعية كل ضرب من السلوك والعمل يوجد مستقلا عن الافراد ويمارس عليهم قهرا خارجيا وهكذا حدد دوركايم الظاهرة الاجتماعية خصائص مميزة هي:

الخارجية, القهر, التلقائية, العمومية, وطالب بضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء بحيث تطبق عليها المنهج العلمي الموضوعي[9], فأي شيء يكون ظهوره على درجة من الانتشار في مجتمع معين دون اخر يعد ظاهرة وكل سوك اجتماعي متكرر وملزم يسمى ظاهرة.

سابعا: العنف – Violence

هو الخرق بالأمر وقلة الرفق, يشمل كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم والتقريع[10]. وقد عرف عالما الاجتماع (هـ جراهام) و(ت.جور) العنف بانه سلوك يميل الى ايقاع اذى جسدي بالأشخاص او خسارة بأموالهم وبغض لنظر عما اذا كان هذا السلوك ذا طابع جماعي او فردي[11]. ثمة ميل الى تعريف العنف على نحو عام, مثل التعريف الذي ورد في موسوعة

(1) عبد علي المالكي / مدخل الى الانتروبولوجيا الاجتماعية, مصدر سابق, ص98.
(2) د. محمد عماد الدين اسماعيل وآخرون: كيف نربي أطفالنا, القاهرة, دار النهضة العربية, 1967, ص62.
(3) د. جعفر عبد الأمير الياسين / اثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث,رسالة ماجستير منشورة, بيروت, دار عالم المعرفة, ط1، 1981, ص18.
(4) اسماعيل حسن عبد الباري: أبعاد التنمية, دار المعارف, 1982, ص8.
(5) سعد الدين ابراهيم: مصر في ربع قرن: دراسات في التنمية والتغيير الاجتماعية, معهد الإنماء العربي, بيروت, ط1, 1981,ص82.
(6) د. عبد علي المالكي: المدخل الى الانتروبولوجيا الاجتماعية, مصدر سابق, ص206.
(7) د. عبد علي المالكي: المصدر نفسه, ص206.
(8) محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع, مصدر سابق, ص302.
(9) محمد عاطف غيث, قاموس علم الاجتماع, مصدر سابق, ص392.
(10) ابن منظور, لسان العرب, ج4, (القاهرة – دار المعارف, 1979) عنف (ص3132 – ص3133).
(11) نقلا عن: عبد الناصر حريز, الارهاب السياسي, دار تحليلة (القاهرة), مكتبة مدبولي, 1966, ص44.

الجريمة والعدالة, والتي عرفت العنف بانه مفهوم عام يشير الى كل اشكال السلوك – سواء كانت واقعية ام مرتبطة بالتهديد – التي يترتب عليها تحطيم وتدمير للملكية او الحاق الاذى او الموت بفرد او النية بفعل ذلك[1]

ثامنا: المرأة – Woman

هي كيان انساني مستقل تتمتع بالقيمة الانسانية كاملة اسوة بالرجل, ولها حقوق وواجبات متساوية لما للرجل في جميع مجالات الحياة[2]. والمرأة هي الشق الثاني من الانسان المعمر لهذه الارض ولفظة المراة في اللغة العربية مشتقة من فعل (مرا) وتعني كمال الرجولية او الانسانية وممن هنا كان المرء هو الانسان والمرأة هي (مؤنث الانسان), يرجع اذن وجود المرأة داخل المجتمع الى بداية ميلاد التجمع البشري[3]. ويستخدم مصطلح المرأة ليشمل الاناث في جميع الاعمار بمن فيهن البنات اللائي تقل اعمارهن عن 18 سنة[4].

تاسعا: العنف ضد المرأة – Violence Ajainst

هو سلوك او فعل عدواني ينتج عن وجود علاقة قوة غير متكافئة بين الرجل والمرأة, وما يترتب على من تحديد الادوار ومكانة كل فرد من افراد الاسرة, تبعا لما يفرضه النظام الثقافي والاقتصادي والاجتماعي القائم في المجتمع[5]. كذلك يمكن ان يعرف العنف ضد المرأة, هو أي فعل مقصود او غير مقصود يسبب معاناة نفسية او جسدية او جنسية للمرأة فالعدوان عنف والاهانة عنف فكل فعل يمارس من قبل الرجال في العائلة أو المجتمع ابتداءا من الشتم والتحرش الجنسي واستخدام القسوة ضدها و الإنقاص من قيمتها كانسان واجبارها على ما لا تريد وحرمانها من حقوق بالاغتصاب او القتل هو عنف ضد المرأة[6]. وقد ورد في النظريات الخاصة بعلم الدراسات النسوية ان العنف ضد المرأة هو عملية اجحاف لحقوق المرأة ناجمة عن الثقافات و الممارسات المرتبطة بسيطرة الرجل على المجتمع والمرأة.

الفصل الثاني / الاطار النظري للبحث

المبحث الاول / الجذور التاريخية للعنف ضد المرأة

تتضارب المعلومات التي قدمها علماء الانثروبولوجيا عن الاشكال البدائية للمجتمع البشري تضاربا كبيرا ولذلك يصعب علينا ان نكون فكرة اكيدة عن وضع المرأة في الفترة التي سبقت مرحلة الزراعة, ولكن مما لاشك فيه ان وضع المرأة كان قاسيا جدا في تلك الفترات بحكم تكوينها البيولوجي الذي يربطها بالحمل والانجاب والرضاعة, العمليات التي تأخذ قسطا كبيرا من قوتها ووقتها بعكس الرجل الذي يبقى حرا طليقا في معظم سنين حياته دون تعليقات والتزامات وعندما كان الرجل يتنقل بحرية دون ارتباطات من منطقة الى اخرى يفتش عن فريسة يصطادها كان على المرأة غريزتها ان تحمل اطفالها الصغار وتفتش عن القوت وتساهم في الصيد لتضمن الطعام والأمان لهم ولها[7]. وبعد ان توسعت الفتوحات التي قام بها ملوك سلالة بابل الأولى, ظهرت عادة تقديم البنات الى المعابد كنذور للإلهة وكانت هذه العادة معروفة عند سكان وادي الرافدين منذ العصور السومرية الا انها ازدادت وانتشرت خلال العصر البابلي القديم عندما ظهرت طبقة من العوائل الغنية اثر ظهور الاقطاع كنتيجة لتوزيع الأراضي التابعة للدولة على قواد ومنتسبي الجيش[8].

(1) محمد سعيد فهمي: العنف الاسري, مصدر سابق, ص47.
(2) عدنان ابو مصلح, معجم علم الاجتماع, دار المشرق الثقافي, الاردن, عمان, 2006, ص72.
(3) زينب محمد صالح العزاوي, العوامل الاجتماعية والثقافية واثرها في تكوين شخصية المرأة العراقية, رسالة ماجستير منشورة, جامعة بغداد, كلية الآداب 2007،,ص10.
(4) الجمعية العامة للامم المتحدة, دراسة متعمقة بشان جميع اشكال العنف ضد المرأة, الدوره (6), ص 17.
(5) منير عبد الله كرادشة: العنف الاسري سوسيولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة, عالم الكتب الحديث, الاردن, 2013, ص32.
(6)رجاء مكي,سامي عجم:اشكالية العنف(العنف المشرع والعنف المدان)رابطة مجد,المؤسسة الجامعية للدراساتوالنشر والتوزيع, بيروت 2008, ص90.
(7) ثلمستاين عفراوي: المرأة ودورها في حضارة وادي الرافدين, منشورات وزارة الثقافة والفنون, العراق, 1978
(8) ثلمستاين عفراوي: المصدر نفسه, ص27.

بينما أصبحت حريتها في الفترة الآشورية اكثر تعقيدا. بحيث لم يعد لها الحق في ان يطلقها لأتفه الأسباب ومن دون ان يدفع لها أي تعويض يذكر, وتنعكس مكانة المرأة المتدنية في العصور المتأخرة في وادي الرافدين في قول الرجل الاشوري الغاضب الى خصمه: (ليت الالهة مسختك الى امرأة) يمكن ان نستنتج من خلال هذه المعلومات عن هذه الحقبة التاريخية ان وضع المرأة قد تدهور فأصبح لا يجوز للزوجة ان تأخذ أي حاجة من بيت زوجها دون موافقته والا فأنها تسهم بالسرقة وتعاقب عقابا شديدا.

اما عند العرب قبل الاسلام فقد كان وضع المرأة في غاية الامتهان والاحتقار الى درجة انتشرت ظاهرة وأد البنات أي تدفن حية او تقذف في بئر وبأي طريقة المهم هو ان يتم التخلص منها خوفا من العار الذي سيصيب الاسرة منها لاحقا. وعند الفرس اباحوا الزواج من المحرمات دون استثناء وعند الاغريق قالوا عنها شجرة مسمومة وقالوا هي رجس من الشيطان وقال عنها الرومان ليس للمرأة روح وكان يصب عليها الزيت الحار وتسحب بالخيول حتى الموت, وعند الصينيين قالوا عنها مياه مؤلمة تغسل السعادة وللصيني الحق ان يدفن زوجته حية, في حين قال اليهود عن المرأة انها لعنة كونها سبب الغواية ونجسه في حال حيضها ويجوز لا بيها بيعها.

اما المسيحيين فكانت لهم رؤية اخرى من خلال المؤتمر الذي عقد في فرسنا عام 586 م مؤتمر للبحث.

هل تعد المرأة انسانا ام غير انسان؟ وهل لها روح ام ليست لها روح ؟ واذا كانت لها روح فهل هي روح حيوانية ام روح انسانية؟ واذا كانت روح انسانية فهل هي على مستوى روح الرجل ام ادنى منها ؟ واخيرا (قرروا انها انسان ولكنها خلقت لخدمة الرجل فحسب واصدر البرلمان الانكليزي قرار في عصر هنري الثامن ملك انكلترا يحظر على المرأة ان تقرأ كتاب (العهد الجديد) أي الانجيل المحرف لا نها تعتبر نجسة[1]. هذا دليل على ان العنف ضد المرأة ليست ظاهرة حديثة او من انتاج حضارة معينة بل هو يمتد الى تاريخ موغل في القدم تحول عبر مراحل تاريخية الى مظهر تاريخي يكاد يشكل جزءا من الانجاز الحضاري لتلك المجتمعات.

المبحث الثاني

النظريات او الاتجاهات الاجتماعية المفسرة للعنف

1- الاتجاه البنائي الوظيفي:

ينظر هذا الاتجاه الى المجتمع باعتباره يمثل كلا مؤلفا من اجزاء مترابطة يؤدي كل منها وظيفة لخدمة اهداف الكل, فالمجتمع ما هو الا نسق يضم مجموعة من العناصر المتساندة التي تسهم في تحقيق تكامله الا ان هذا التكامل لا يتم بصورة مثالية, فمن المتوقع حدوث بعض الانحرافات في النسق تحول دون اداء وظائفه على النحو الكامل.

وينظر الاتجاه الوظيفي على اساس ان له دلالة داخل السياق الاجتماعي فهو اما ان يكون نتاجا لفقدان الارتباط بالجماعات الاجتماعية التي تنظم وتوجه السلوك, واما ان يكون نتاجا للمعيارية وفقدان التوجيه والضبط الاجتماعي الصحيح ومن رواد هذا الاتجاه (تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون) حيث وضح روبرت ميرتون مدى ارتباط العنف بعدم تحقيق الاهداف الثقافية من خلال الوسائل اليت يقدمها المجتمع. كما ان وحدة التحليل التي يهتم بها هذا الاتجاه في حالة العنف الاسري فهي الوحدات الصغرى (Micro Analysis) كالأسرة الفردية والاتساق الاجتماعية نسبيا[2].

كما يركز على العنف المتبادل بين الزوجين وبينهما وبين الابناء او بين الابناء البالغين وكبار السن. فالعنف يعتبر نتاجا لظروف اجتماعية, تتمثل في الاوضاع العائلية وظروف العمل وحالات البطالة وغير ذلك من العوامل الاجتماعية والاقتصادية. كما يرى هذا الاتجاه ان تقليص حدة العنف يكمن في زيادة التكامل الاجتماعي من خلال زيادة ارتباطا لا شخاص بالجماعات الاولية التي تعمل على اشباع احتياجاتهم النفسية والاجتماعية وتغرس القيم الدينية وقيم الانتماء[3].

(1) تأليف فريق من الاختصاصيين, ترجمة الاب الياس خلاوي, مراجعة الاستاذ انطوان مقدسي, المجتمع والعنف, ط3, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, 1993, ص62.
(2) محمد سيد فهمي / العنف الاسري, مصدر سابق, ص81.
(3) محمد سيد فهمي, المصدر نفسه, ص82.

2- الاتجاه الصراعي:

يتضمن الصراع عداء مباشر بين طرفين يهدف كل منهما الى انهاء الاخر من اجل المحافظة على بقائه او الدفاع عن مصالحه[1]. ان العنف كما يؤكد الماركسيون لا ينتمي الى الطبيعة البشرية بل هو ظاهرة تاريخية (عنف تاريخي) فاذا زالت اسبابه وهي الملكية الخاصة والانقسام الطبقي اندثر تماما وحل الود والوئام[2]. ويوضح عالم الاجتماع (جورج زيميل G.Simmel) ان العلاقات الحميمية في الاسرة بين الزوج والزوجة تتطلب بالضرورة نوعاً من العداوة بمثل ما تشتمل على الحب ويرى عالم الاجتماع سبراي (J.Sprey) ان الصراع يعد جانبا وجزءا مكونا في كل الاتساق والتفاعلات الزوجية. فالاسرة في ضوء هذه النظرية تعد نظاماً اجتماعياً يعمل على تقنين العلاقات الشخصية المتبادلة والوثيقة من خلال عمليات مستمرة من التعارض وحل المشكلات وادارة الصراع[3].

ويفسر ماركس ذلك من خلال علاقات القهر والسيطرة والخضوع, التي كانت بسبب تطور قوى الانتاج بشكل ابطأ من التطور الطارئ على علاقات الانتاج, ويأتي بطء تطور علاقات الانتاج لمجموعة من الاسباب الثقافية والاقتصادية, وكذلك بسبب رغبة الطبقة المسيطرة من مالكي وسائل الانتاج ويقابلهم بالغالب ما يسمى بالطبقة الذكورية في المجتمع في الاحتكار والتمتع بوسائل الانتاج ومكتسباته من الاعتبار والنفوذ والقوة, وهنا تحاول هذه الطبقة جاهدة على تجنيد وسائل الانتاج لصالحها, ومنعها عن الطبقة الدنيا او ما يسمى (بالطبقة الانثوية) عبر مجموعة من الاليات(ضخ علاقات انتاج, تزييف وعي, وتشريعات, وقوانين ونظم) تميل بمعظمها نحو تعظيم مكاسب الطبقة بهدف تأصيل وأحكام السيطرة على الطبقة الانثوية, وتكريس موازين قوى غير متكافئة بين المرأة ولرجل[4]. والماركسية اكثر وضوحا وقربا في تفسير علاقات القوى غير المتكافئة بين المرأة والرجل في مختلف العصور فالتتبع التاريخي للدونية المرأة يظهر جليا من علاقات الملكية ونمط الانتاج السائد وفي الوقت الذي عملت فيه المراة وكسبت الثروة والمال وارتفعت مكانتها وعلا شأنها وتساوت مع الرجل وعندما عادت للبيت وتركت العمل وسادت الملكية الخاصة قل شأنها وعمت دونيتها[5].

ومن جانب اخر يعد (كوزر Kozer) من المنظرين الذين يؤكدون الجانب الايجابي للصراع في استمرار الانسان وتكيفها ومنها العنف الاسري وفي ذلك يقول (اذا اخذنا الاسرة كنسق في حالة تكرار المشاجرات بين الزوج وزوجته وتعمق العلاقات بينها ولجوئها الى حل الصراعات دون اللجوء الى الطلاق فكل ما نستطيع قوله هنا ان نسق الاسرة مستمر ولم يتعرض للانهيار[6].

ولكن لا نستطيع ان نقول ما اذا كان الصراع (حسنا او سيئا) بالنسبة للاسرة وانما كل ما نستطيع ان نعرفه عن هذا ما يترتب عليه بالنسبة للزوج والزوجة والاطفال هل انتصرت وجهة نظر الزوج ام الزوجة ؟ ام حدث نوع من التوفيق بين وجهتي النظر؟[7]. فاذا دفعت المراة الثمن وكانت (كبش الفداء) حسب رأي كوزر, يكون الصراع هنا سلبيا وايجابيا للاسرة لانها تنازلت عن حقوقها مقابل الحفاظ على الاسرة من غير تفكك ويغلب ان تكون المرأة هي الضحية لا الزوج ويشاركها في ذلك الاطفال ويبقى الزوج القاهر سيد الموقف وصاحب الأمر والنهي[8].

3- الاتجاه التفاعلي الرمزي:

هربرت بلومر احد علماء هذا الاتجاه يقول ان الافراد يتصرفون حيال الاشياء على اساس ما تعنيه تلك الاشياء لهم, وهذا المعاني تتشكل في اثناء عملية التفاعل الاجتماعي, ثم تحور وتعدل ويتم تداولها عبر عملية تاويل يستعملها كل فرد في تعامله مع الاشارات التي يواجهها[9]. فالذكور طبقا لمعظم الثقافات البشرية يتسمون بالخشونة وحب السيطرة والرغبة بالاعتماد على النفس. في

(1) د. معن خليل عمر: نحو نظرية عربية في علم الاجتماع, الامارات, جمعية الاجتماعيين, 1989, ص133.
(2) محمد سيلا: الجذور النفسية والاجتماعية للعنف, جريدة انوال المغرب, الملحق الثقافي, العدد 36, 1987.
(3) محمد سيد فهمي, العنف الاسري, مصدر سابق, ص85.
(4). منير عبد الله كرادشة, العنف الاسري, سوسيولوجية الرجل العنف والمرأة المعنفة, مصدر سابق, ص53, ص54.
(5) د. جلال زكي, الاسرة العربية بين النظرية والتطبيق, ط1, مكتبة الانهار المصرية, 1997, ص16
(6) ارفنج زايتلن: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع, دراسة نقدية, ترجمة ابراهيم عثمان ومحمود عودة, مطبعة ذات السلاسل, الكويت, 1989,ص179.
(7) المصدر نفسه: ص180.
(8) المصدر نفسه: ص182.
(9) نقلا عن ايان كريب: النظرية الاجتماعية, من بارسونز الى هابرماس, ترجمة محمد حسين غلوم (الكويت: سلسلة) عالم المعرفة,1999, ص132.

الوقت الذي يتم فيه تصوير الانثى ضعيفة, ومطيعة وتابعة, تنازعها غريزة الاستسلام والخضوع. ومن هذا المنطلق فان كل جنس يستجيب بشكل عفوي مع ما تم رسمه له سلفا ويسلك بناءا على ما يعتقد انه سلوك مقبول وصحيح, وبناءا على ما يتوقعه الاخرون منه[1].

المبحث الثالث

إشكالية العلاقة بين العدوان والعنف

يبدو واضحا ان هناك ضبطا خاصا بمصطلح العنف مما يستوجب تفريقه عن مصطلح العدوان, في الواقع يكتسب مفهوم العدوان دلالة معينة مفادها ان العدوان هو دائما نتيجة للإحباط فعندما يتعرض الفرد الى جملة من الاعاقات فان ذلك يقوده الى استثارة الدافع العدواني لديه. فعندما وصف الفلاسفة الانسان بانه حيوان وكائن اجتماعي في وقت واحد, او بمعنى اخص كائن بايلوجي اجتماعي. ان الحيوانات كافة كائنات اجتماعية, أي انها عضويات حية تتفاعل مع غيرها لتحصيل منافع متبادلة ولكن الانسان بوصفه حيوانا وكائنا اجتماعيا منفرد من بينها من عدة وجوه فهو بوصفه حيوانا, اكثر مرونة وتكيف وقابلية على التعلم من كل الكائنات الحية وهي الصفة الخاصة بالنوع الانساني فالإنسان هو صنيعة التقاليد فهو مصنوع وفق النموذج السائد في كل حضارة وهي مختلفة فيما بينها بدرجات ملحوظة, فالإنسان كغيره من بقية مملكة الحيوان على رأي دارون اعتدائي بطبيعته ولتكن هذه حقيقة طبيعية, فان دارون يحاول ان يظهر في كتابه(سلالة الإنسان) ان تطور الإنسان الخلقي والاجتماعي معتمد بصورة متزايدة على عوامل حضارية, وعلى كل حال فمن الواضح جدا, ومن وجهة نظر دارون ان الدوافع الاعتدائية المزعومة في الانسان في تصادم مع كفاحاته الخلقية.[2]

كذلك فقد اشار جارلس دارون في كتاباته علم البايو اجتماعي (Socibiology) (الذي يعني الدراسة المنظمة للقواعد الحياتية البيولوجية واثرها على السلوك الاجتماعي) على الحتمية البيولوجية التي تؤكد ان جميع سلوكيات الفرد ماهي سوى نتيجة لتأثير العوامل الجينية والبيولوجية وان التفاعل الاجتماعي لا يلعب دورا حيويا في ذلك. فضلا عن ان البايو اجتماعية لا تجيب على السؤال الاتي: لماذا اصبح الفرد (س) اكثر عدوانيا في سلوكه من الفرد(ص) بل ركز كيف تؤثر الطبيعة البشرية في التكوين النوعي للإنسان (ذكر او انثى) وعلى الروابط العضوية وبشكل بسيط على الفروقات العرقية بين الجماعات. ثم اكد ادوارد ولسن(عالم في علم الحيوان) واستاذ في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الامريكية على ان الوراثة تلعب دورا خفيفا او بسيطا في تشكيل وبلورة نماذج من السلوك الانساني بضمنها السلوك الاجتماعي[3]. فنظام الجينات (الأمشاج) الذي يسمح بنمو الدماغ الانساني بصورة خاصة. قد أصبح أساساً وتأثيراً سائدا في كل تطور لاحق في أرومة الإنسان[4]. فبعض البيولوجيين يربطون بين الميل الى العنف وبين التركيبات الجينية والهرمونية لمرتكبيه ويعزونه الى كروموزوم يسمونه (Y) ونقص مادة السيرورتين الكيميائية لديهم فبدلاً من ان يكون الزوج الثالث والعشرون من كروموسومات خلية (XY) فيصبح (XXY) وقد اظهرت الدراسات ان اللذين لديهم هذا الخلل الكروموزومي يظهرون استعدادا اكبر للعنف, كذلك توصل واضعوا نظرية الغدد الصم الى الخلل في مستوى هرمون (البرولاكتين) يمكن ان يؤدي الى الاكتئاب واحيانا القلق والتوتر والعدوان[5].

واذا ما حصل أية إعاقة أو تعطيل لوظائف الأعضاء في جسم الكائن البشري نتيجة لضغوط معينة فانه سوف ينعكس ذلك على المحصلة النهائية للسلوك لان عملية التعطيل للأعضاء سوف يحدث تغيرات وتحولات كيميائية غير طبيعية داخل الجسم حيث يزداد إفراز الأدرينالين بالدم مما يؤدي أي تنشيط الجسم وزيادة ردود الفعل المستمرة, التي تجعل الجهاز الدوري الدموي يضطرب. كما

(1) منير عبد الله كرادشة: العنف الاسري, سوسيولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة, مصدر سابق, ص58.
(2) د.اشلي مونتاكو: طبيعة الانسان البايولوجية الاجتماعية, ترجمة الدكتور احمد حسن الرحيم, مطبعة الآداب، النجف،1965، ص6.
(3) د. معن خليل عمر: التنشئة الاجتماعية, دار الشروق للنشر والتوزيع, عمان, 2004, ص45.
(4) د. اشلي مونتاكو: طبيعة الانسان البايولوجية الاجتماعية, مصدر سابق ص34,ص35.
(5) د. مامون محمد سلامة, (اصول علم الاجرام والعقاب), مطبعة جامعة القاهرة, 1979, ص177.

يزداد الكلسترول الناتج عن زيادة إفراز الغدة الدرقية مما يجعل الشرايين تتصلب ويعرضها بنوبات قلبية. بالإضافة الى الاضطرابات التي قد تصيب الجهاز الهضمي وكذلك الجهاز التنفسي مما يدفع بالفرد المزيد من المشاحنات والمشاجرات على صعيد المنزل والعمل.

يحصل العدوان نتيجة الإحباط وتتناسب قوة التحريض على العدوان طردا مع مقدار الإحباط, والتفاوت في مقدار الإحباط يتأتى مع عوامل عدة و هي كالاتي:

1- قوة التحريض على الرد المحبط.
2- درجة الإعاقة التي حالت دون الرد المحبط.
3- عدد سلاسل الردود المحبطة, ويتناسب كبح أي عمل عدواني تناسبا طرديا مع قوة العقاب المتوقع نتيجة التعبير عن ذلك العمل, والعقاب يتضمن ايقاع الاذى بأشخاص يحبهم المرء, والعجز عن تنفيذ عمل ثم التحريض عليه, كذلك المواقف العادية التي تسبب الالم[1].

فليس من طفل يولد مبغضا او اعتدائنا لا نه يصبح هكذا عندما تمنع رغبته في ان يحب وان يصبح محبوبا أي عندما تعاق اشباعاته المتوقعة, وان الحرمان هو اعاقة او معاكسه الاشباع المتوقع. هذا ما خاب فرويد ادراكه. فما ايقن به فرويد انه اعتدائية فطرية. هو نوع مكتسب من السلوك ينجم عن حرمان الكائن من اشباع متوقع. العدائية والاعتدائية والسلوك السيء كلها ببساطة تقنيات او وسائل فنية (Technique) لأحراز الحب ولإجبار اولئك الذين لم ينتبهوا. وعندما نحاول تطبيق مثل هكذا افكار وطروحات على الظاهرة موسع موضوع البحث نجد ان الاحباطات كثيرة التي يواجهها افراد المجتمع والعقبات والروتين والبيروقراطية التي تفرضها الانظمة الاجتماعية المؤسسية تثير لدى الافراد دافعا للعنف الذي تمثل قمته العدوانية ضد الغير. فمن المحاولات الرائدة في تفسير هذا العنف هي محاولة الدكتور (علي زيعور) اذ يذكر ان الاحباط ولد فينا عدوانية, فكانت هناك طريقتان في الرد: الاولى ثارت في وجه القاهر اما الثانية فقد وجهت عدوانيتها الى الداخل حيث تلقى التقريع الذاتي أي لوم الجماعة والفكر والانسان ومشاعر العقاب الذاتي والتلذذ بتجريح الاسلاف والمورثات او بتعداد المثالب والنواقص.[2]

الفصل الثالث

العوامل المسببة للعنف ضد المرأة

المبحث الأول

العوامل المتصلة بالمؤسسة العائلية

أ – أساليب التنشئة واليات الضبط الاجتماعي:

من المعلوم ان العائلة تقدم عدة وظائف غاية في الاهمية تبتدئ بإنتاج الاعضاء وانتهاء بتنظيم كل العمليات التفاعلية والسلوكية على مستوى المحيط الاسري او الاجتماعي بشكل عام الا ان هذه العائلة تبقى هي حاضنة لكل شيء يتصل بعملية التنشئة والإعداد بل يمكن عد العنف ظاهرة تنمو داخل الفضاءات العائلية اولا ثم تجد طريقها الى المجتمع. فالعدوان والعنف عند الفرد هو ثمرة الطريقة التي تمارسها العائلة في تطبيق الياتها الضبطية يضاف اليها الاسلوب السلطوي السائد عند العائلة. فالضبط هو في جوهرة ممارسة للقوة تهدف الى اخضاع الاعضاء وامتثالهم[3]

(1) جون دولارد واخرون في سايكولوجية العدوان, تأليف نخبة من الباحثين, ترجمة عبد الكريم ناصيف, عمان, دار منارات للنشر ' 1986,ص31.
(2) علي زيعور: اللاوعي الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربية (بيروت: دار الطليعة, 1991) ص50.
(3) زيدان عبد الباقي: ركائز علم الاجتماع, القاهرة, دار المعارف, ص113.

وتستند الفلسفة العقابية في تنشئة الطفل الى الافكار التقليدية التي ترى ان السلوك السيء للطفل ناجم عن الطبيعة السيئة الثابتة للطفل نفسه, وان على التربية ان تعمل على استئصال هذه النزعة الشريرة وهذا يستوجب القيام بسلسلة من الاكراه والقسر والضرب حين يخالف الطفل التعليمات الاخلاقية التي تتصل بإشباع بعض حاجاته الطبيعية[1].

فالطفل الذي يستعمل معه ابواه العنف بشكل مزمن غالبا ما يترك لديه مشاعر عميقة بالكراهية والحقد, فقد اثبتت بعض الدراسات ان العنف والعقوبات الجسدية التي استعملها الاباء ضد الابناء والتي من اشكالها الضرب باليد, وبخرطوم الماء, والعصا, والحزام, والربط والتقييد. والرفس او الركل بل حتى الاحراق بالنار, كان من الاسباب الدافعة الى تكوين مشاعر ضد المجتمع ومن ثم الجنوح عند الابناء[2]. كما ان عملية الصاق الاحكام (Stigmatization) التي يدمغ بها الطفل يمكن ان تنجم عن احباط توقعات الاهل من طفلهم. فالأهالي الذين يضطهدون ابناءهم هم غالبا ما تكون لديهم توقعات غير واقعية او عالية للغاية, عن اطفالهم كما انهم يطلبون من اطفالهم ان يكون معدل نموهم ابطأ او اسرع من مسار نموهم الطبيعي[3].

ويمكن التمييز بين مجموعتين من العقوبات التي يمارسها الاباء ضد ابنائهم خلال عمليات الضبط الاجتماعي وهي كالاتي:

1- اساليب القمع النفسي مثل: الازدراء, الاحتقار, الامتهان والسخرية, والتهكم والتبخيس واحكام الدونية والحرمان.
2- اساليب العقاب البدني والفيزيائي مثل: الضرب بأشكاله المختلفة وبأدواته المتنوعة والحرمان والسجن والمنع[4].

ويرى عالم الاجتماع برشتينBernstein ان التنشئة الاجتماعية تكون في الاغلب ذات طبيعة تسلطية في البيئات المحرومة لان اليات الحوار والاقناع تكون معدومة وبحاجة الى وسائل بلاغية ونفسية قد لا تتوافر في الاسر المحرومة التي تتميز غالبا بكبر حجمها وضيق مكانها وقلة مواردها وضحية ذلك كله تكون الفتاة بممارسة الاسلوب التسلطي والتمييزي ضدها.[5]

ب- السلطة الابوية:

ان السلطة (Authority) وحسب تعريف والتر بكلي Walter Buckley هي التوجيه او الرقابة على سلوك الاخرين لتحقيق غايات جمعية معتمدة على نوع من انواع الاتفاق والتفاهم, كما عرفها الدكتور احمد زكي بدوي بانها القوة الطبيعة او الحق الشرعي في التصرف واصدار الاوامر في مجتمع معين[6]. وورد في تعريف السلطة في معجم علم الاجتماع بانها قوة نظامية وشرعية في مجتمع معين, مرتبطة بنسق المكانة الاجتماعية وموافق عليها من جميع اعضاء المجتمع وترجع اهمية السلطة الى انها توجه سلوك الافراد بصورة محددة لانجاز الاهداف العامة[7].

في حدود العائلة يجابه الفرد علاقات ذات واقع سلطوي Authoritartaion لا سيما في المجتمعات ذات الانظمة الابوية[8], فقد كانت الطبيعة الجذرية بين الجنسين القوة الشخصية المفرطة القاعدة التي استند اليها النظام الابوي للهيمنة على المجال العام[9].

على سبيل المثال تجسد انماط قوة بطريكيه, متجذرة في المجال الخاص للمنزل الاسري والعائلة الذين يشكلان السبل التي تمارس بها سلطات السيطرة الرسمية وتصيغها بطرق معقدة.

ويرى علماء الانتروبولوجيا الاجتماعية ان السلطة الابوية تمثل اغلب جوانب حياة الافراد خلال مرحلة الطفولة ويتقبلها الافراد بطريقة ميكانيكية وبدون شعور بسبب وضعهم العاجز والضعيف[10].

(1) علي اسعد وطفة: بنية السلطة واشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي, بيروت, مركز دراسات الوحدة العربية, 1999,ص149.
(2) جعفر عبد الامير ياسين: اثر التفكك الاجتماعي في جنوح الاحداث, مصدر سابق, ص198-200.
(3) مطاوع محمد بركات: العدوان و العنف في الاسرة, مجلة عالم الفكر, المجلد السابع والعشرون, العدد, الكويت,1999, ص237.
(4) اسعد وطفة: بنية السلطة واشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي, مصدر سابق, ص92.
(5) ر.بوردون رف بوريكو, المعجم النقدي لعلم الاجتماع,ط1,ت الدكتور سليم حداد, 1968,ص424.
(6) مولود زايد الطيب: علم الاجتماع السياسي, دار الكتب الوطنية, ليبيا,2007,ص76.
(7) د.عاطف غيث: معجم علم الاجتماع, مصدر سابق,ص27.
(8) هشام شرابي: مقدمات لدراسة المجتمع العربي, الدار المتحدة للنشر, بيروت,ط2,1975,ص60.
(9) د. محمد عاطف غيث: معجم علم الاجتماع, مصدر سابق, ص27.
(10) علي حسين حطيم: السلطة الابوية في الاسرة العراقية المتغيرة، مجلة الاستاذ، العدد 203، 2012، ص 74.

ان السلطة الابوية سابقا كانت محصورة بيد الاب ولا يشاركه احد في اتخاذ القرارات المختلفة من قبل افراد الاسرة الخاصة بشؤون الاسرة بما في ذلك حتى الام ليس لها رأي[1]. وعليه نجد ان هذه السلطة والمركزية الذكورية تقومان على مبدأ الحط من منزلة المرأة بالنسبة لمنزلة الرجل, ويجابه الفرد علاقات ذات واقع تسلطي في الاسرة الذكورية –الابوية. وهذا الواقع ينمي العنف داخل الفرد كونه يقوم على مبدأ الالزام والاكراه والافراط في استعمال السلطة مع الاخرين, كما ينطلق من مبدأ العلاقات العمودية التي تسود في اطار هذه الاسرة والتي تتمثل بعلاقات القوة التي تأخذ صورة العنف بأشكاله المختلفة[2].

فالأنظمة التي كانت سائدة ولازالت في المجتمع, قد استمد منه الرجل (رب العائلة) دعما لتكريس سلطته داخل البيت وبما ان النظام الابوي قائم على اساس التقسم غير العادل للسلطة والادوار بين الجنسين فقد حصل الرجل على السلطة المطلقة العائلية داخل العائلة فيما تحملت المرأة للاعباء الاخرى كافة وخضعت لضرورات الطاعة والخنوع ولو حصل كلا الطرفين على ذات المكانة يحصل خللاً في بناء النسق الاسري لذلك تعد دونية وضع المرأة امرا ايجابيا حتميا يحافظ على بناء الاسرة قائما غير متفكك[3].

لهذا تصبح قضية فرض السلطة والمحافظة عليها احد الاهداف الرئيسية التي يسعى الرجال الى تحقيقها فنجد انهم يلجاون الى الاساليب والوسائل المتاحة كافة بهدف المحافظة على سلطتهم العائلية ومنها استخدام العنف في مواجهة أي شعور بالخطر على تلك السلطة.

لذلك يترتب على الافراط في ممارسة التسلط بناء شخصية متمردة خارجة على قواعد السلوك وعلى كل قانون وسلطة ولذلك لتفجير مكبوتات القهر والمعاناة الناجمة عما تعرضت له او تتعرض من ضرورة القسوة, واستنادا الى هذه الحقيقة فسر بعض الباحثين السلوك العدواني الذي يتجه نحو ممتلكات المجتمع دون أي احساس بالذنب يصدر عن اشخاص لم يشعروا بانتمائهم لا سرهم او حبهم لها[4].

المبحث الثاني

العوامل الثقافية المتصلة بالبيئة الثقافية

وضعت تعريفات كثيرة جدا للثقافةCulture وتختلف هذه التعريفات في ألفاظها وصياغتها ولكنها تتفق كلها في النهاية مع التعريف الكلاسيكي البسيط الذي وضعه تايلور في مطلع كتابه عن(الثقافة البدائية) حيث يقول:

الثقافة او الحضارة بمعناها الاثنوجرافية الواسع: هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل المقدرات والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان من حيث هو عضو مجتمع[5].

والعنف بوصفه ظاهرة اجتماعية هو في الوقت نفسه مكتسب ثقافي, اذ انه لا يظهر الا لدى الانسان ابتداءا من اللحظة التي تتخطى الطبيعة ذاتها الى ثقافة[6].

فالثقافة تحدد القيم والمعايير والاهداف ففي كل ثقافة موضوع او مجموعة من الموضوعات القيمية المركزية التي تحدد انماط العنف وسياقاته ومبرراته والاجراءات العملية التي تواجه بها نتائجه واثاره في العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة او المجتمع[7].

ان العنف والقهر الذي تتميز به العلاقات التسلطية يؤدي الى هدم البنية النفسية والاجتماعية والعقلية للشخصية عند الطفل, كما يؤدي الى نمو تقدير واطئ للذات ومفهوم سلبي عنها, مما يجعله غير قادر على عقد الصداقات مع الاخرين, اذ ان الانتقاص من

(1) علي حسين حطيم: المصدر نفسه, ص76.
(2) اسماء جميل راشد: العنف الاجتماعي, دراسة لبعض مظاهره في المجتمع العراقي, مدينة بغداد انموذجا, دار الشؤون الثقافية العامة بغداد,2007,ص104.
(3) امل سالم العواودة: العنف ضد الزوجة في المجتمع الاردني, دراسة اجتماعية لعينة من الاسر في محافظة عمان, مكتبة الفجر, ط1, 2002, ص12.
(4) علي اسعد وطفة: بنية السلطة واشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي, مصدر سابق, ص98.
(5) مصطفى عمر حمادة: علم الانسان, مدخل لدراسة المجتمع والثقافة, دار المعرفة الجامعية, مصر, 2007, ص202.
(6) ينظر ميشيل كورناتون: جذور العنف الحيوية والنفسية والاجتماعية في المجتمع,ص58.
(7) د. قيس النوري: الانتروبولوجيا النفسية, بغداد, دار الحكمة للطباعة والنشر, 1990, ص424.

الشأن الذي يشعر به الطفل ينتهي الى حدوث نوع من القطيعة او الشرخ سرعان ما ينعكس على التفاهم المتبادل مع الاخرين ويهيئ الى ارتكاب العنف ضدهم.[1]

فالثقافة عاملا هاما يؤثر في شكل وتوقيت العدوان ويمكن الاستدلال على هذه الخاصية من خلال ما كشفته الحقائق الأنثروبولوجيا عن الجماعات البدائية. اذ وجد انها تمتلك اساليب خاصة في التعبير عن العنف منها: المجابهات الطقوسية والاهانات العلنية امام الجمهور والسباقات السلمية التي تمتص العداء والكراهية[2]. فان العالمة الأنثروبولوجي روث بنيدكت وهي تلميذة فرانس بواز, تقدم لنا برهانا رائعا في كتابها الشهير (نماذج ثقافية) الصادر عام 1934 تحت عنوان "عينات حضارية" فان روث بنكت تبرهن على ان الانسان يأتي هذا العالم مزودا بعدد من الامكانيات التي سيخضعها المجتمع لعملية انتقاء, فيقدم للإنسان نماذج ثقافية وصورا, يتحتم عليه تبنيها كي يتبناه المجتمع.

وتؤكد روث بنديكت على اهمية القيم التنافسية في تشكيل السلوك العدواني من خلال الدارسة المقارنة التي اجرتها بين الثقافة الديونيسية المعروفة بعدوانيتها والثقافة الابولونية المسالمة اذ بينت ان القيم التنافسية ونموذج المزاحمة التي تعمدها قبائل الكوكتيل الممثلة للثقافة الديونيسية قد وسمت افراد هذه القبيلة بالعنف والعدوان على العكس من اعضاء قبيلة الزوني(وهي ابرز انموذج للثقافة الابولونية) فهم قوم مسالمون يهتمون بطقوسهم البالغة التعقيد والانسان السعيد عندهم هو الذي يحقق الاعتدال التام في كل شي[3] فالعدوانية ظاهرة ثقافية تتأصل جذورها في المستوى ما قبل الثقافي الذي هو منطقة التلاقي بين الطبيعة والثقافة وقد تعبر العدوانية عن ذاتها بالعنف, وان بروز هذه الغريزة يختلف باختلاف الثقافات التي تحدد اشكال ظهورها فتارة تنفجر عنفا بالمعنى الحصري للكلمة وطورا تخضع لتوجيه الفرد الذي يستطيع ان يسيطر عليها بفضل عوامل التحويل او التصعيد.

المبحث الثالث

العوامل المتصلة بالمؤسسة القانونية والتشريعية

تلعب عدد من العوامل المتصلة بالمؤسسة القانونية والتشريعية أدواراً مختلفة في انتشار وتفاقم مشكلة العنف ضد المرأة نبين منها الاتي:

1- القوانين التي تميز بين الرجل والمرأة وخاصة فيما يتعلق بموضوع حقوق الملكية والارث والحضانة والاعالة.
2- ضعف في الثقافة القانونية خاصة عند النساء مما يجعل العنف في تصورهن مسألة طبيعية.
3- تدني الوضع القانوني للمرأة والطفل (انعدام الاهلية للقانونية) العزوف عن التعامل مع الجهات المختصة وخاصة الجهات الامنية, واعتبار الامر (العنف ضد النساء) من المواضيع التي تعتبر من اسرار الاسر والعوائل ولايجوز كشفه واطلاع الغير عليه بل لا يجوز التدخل فيه اصلا.

نتائج البحث:

1- تشير نتائج البحث الى ان العنف مشكلة اجتماعية منتشرة في المجتمع وهي حاصل تحصيل أي مجتمع مأزوم تضافرت فيه مجموعة من الظروف على انتاج مثل هكذا مشكلات اجتماعية, بسبب التغيرات الاجتماعية والبنيوية التي مر بها المجتمع العراقي.
2- ان العنف ظاهرة تنمو في الفضاءات العائلية بسبب خلل في اليات الضبط الاجتماع مع زيادة الروح التسلطية لدى بعض افراد الاسر مما يشيع عامل الهيمنة الذكورية ومحاولة اخضاع الاخر علما ان مثل هذه الظواهر التي تحدث داخل الاسر تحاط بسرية بسبب القيم الاجتماعية.

(1) مصطفى حدية: التنشئة الاجتماعية والهوية, ت,محمد بن الشيخ, منشورات كلية الاداب والعلوم, الرباط, 1996,ص185.
(2) سونيا هانت وجيد فرهيلتن: نمو شخصية الفرد والخبرة الاجتماعية, ت, قيس النوري, دار الشؤون الثقافية, بغداد, 1988,ص 248.
(3) للمزيد ينظر: ميشيل كورناتون: جذور العنف الحيوية والنفسية والاجتماعية في المجتمع, ص74.

3- ان العنف ضد المرأة يصدر من الرجال المتزوجين في اكثر الاحيان بسبب التوترات النفسية نتيجة لضغوطات الحياة وتحملهم الاعباء الثقيلة لمتطلبات المعيشة.

4- استعمال الاساليب التقليدية في الفلسفة العقابية عند التنشئة الاجتماعية للطفل ما ينمي لديه السلوك العدواني الممهد لظهور حالات العنف لاحقا, بالإضافة الى سيادة العقلية الذكورية والتفكير العشائري.

5- يشكل العنف والقهر سمة من سمات العلاقات التسلطية الشائعة بين الاسر المعنفة مما يؤدي الى هدم البناء الاجتماعي والنفسي للشخصية ونمو التقدير الواطئ للذات الانسانية.

6- للثقافة الاجتماعية دورا فعالا في التخطي من مرحلة الطبيعة الى مرحلة الأنسة وتحديد الانماط السلوكية المقبولة اجتماعيا.

التوصيات:

1- تشجيع الباحثين ومراكز البحث العلمية المعنية بالقضايا الاجتماعية لا جراء مزيد من الدراسات المتعلقة بظاهرة العنف ضد المرأة.

2- زيادة الوعي الاجتماعي بأهمية دور المرأة في المجتمع والتأكيد على حقوقها التي أقرتها الشريعة والقانون وعدم تهميشها بالشكل الذي ينمي قدراتها في الحفاظ على كيانها الإنساني.

3- تعزيز الخطاب الديني في التأكيد على أهمية المرأة في المجتمع وضرورة احترامها وعدم تعنيفها ووضع جزاءات رادعة للحد من مشكلة العنف.

4- الاهتمام بالقاعدة الاقتصادية للأفراد ومحاولة امتصاص كل مستويات الفقر واشاعة قدرا من الرخاء الاقتصادي لتمكين الفرد من الابتعاد عن كل مثيرات العنف.

5- التأكيد على أهمية وسائل الإعلام والقنوات الفضائية في التحلي بلغة المحبة والسلام والتسامح والابتعاد عن الخطاب المؤجج للعنف المثير للتشنج والانفعال.

المصادر:

1. د.أحمد زكي بدوي، معجم العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1977.
2. د. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع. الهيئة المصرية، العامة للكتاب، الإسكندرية، 1979.
3. صالح محمد علي أبو جادو، سايكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة، عمان، 1988.
4. د. معن خليل عمر، التنشئة الاجتماعية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004.
5. د. عبد علي المالكي، مدخل إلى الأنثرويولوجيا الاجتماعية،ط1، مطبعة النجف، 2007.
6. منى يونس بحري، العنف الأسري، ط1، دار صنعاء للنشر والتوزيع، عمان، 2011.
7. محمد سعيد فهمي، العنف الأسري، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2012.
8. د. محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون، كيف نربي أطفالنا، القاهرة، دار النهضة العربية، 1967.
9. د.جعفر عبد الأمير ياسين،أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث،رسالة ماجستير منشورة، بيروت،ط1،دار عالم المعرفة،1981.
10. إسماعيل حسن عبد الباري، أبعاد التنمية، دار المعارف، 1982.
11. سعد الدين إبراهيم،مصرفي ربع قرن، دراسات في التنمية والتغيير الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، ط1، بيروت، 1981.
12. أبن منظور، لسنان العرب، ج4، القاهرة، دار المعارف، 1979.
13. عبد الناصر حريز، الإرهاب السياسي، دار القاهرة، مكتبة مدبولي، 1966.
14. عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار المشرق الثقافي، الأردن، 2006.

15. زينب محمد صالح العزاوي، العوامل الاجتماعية والثقافية وأثرها في تكوين شخصية المرأة العراقية، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2007.
16. منير عبد الله كرادشة، العنف الأسري، سوسيولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2013.
17. رجاء مكي وسامي عجم، إشكالية العنف (العنف المشرع والعنف المدان) رابطة مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2008.
18. ثلمستاين عقراوي، المرأة ودورها في حضارة وادي الرافدين، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ط3، العراق، 1978.
19. تأليف فريق من الاختصاصيين، ترجمة الأب الياس خلاوي، ط3، مراجعة الأستاذ انطوني مقدسي، المجتمع والعنف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993.
20. د. معن خليل عمر، نحو نظرية في علم الاجتماع، الأمارات العربية المتحدة، جمعية الاجتماعيين، 1989.
21. محمد سيلا، الجذور النفسية والاجتماعية للعنف، جريدة أنوال، المغرب، الملحق الثقافي، العدد 36، 1987.
22. د. جلال زكي، الأسرة العربية بين النظرية والتطبيق، ط1، مكتبة الأنهار المصرية، 1997.
23. أرفنج زايتلن، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دراسة نقدية، ت إبراهيم عثمان ومحمود عودة، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، 1989.
24. أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ت محمد سعيد غلوم، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1999.
25. د. أشلي مونتاكو، طبيعة الإنسان البايلوجية الاجتماعية، ترجمة د. أحمد حسن الرحيم، مطبعة الآداب، النجف، 1965.
26. د. معن خليل عمر، التنشئة الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2004.
27. مأمون محمد سلامة، أصول علم الأجرام والعقاب، مطبعة جامعة القاهرة، 1979.
28. جون دولارد وآخرون، سايكولوجية العدوان، تأليف نخبة من الباحثين، ت عبد الكريم ناصيف، دار للنشر، عمان، 1986.
29. علي زيعور، اللاوعي الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربية، دار الطليعة، بيروت، 1991.
30. زيدان عبد الباقي، ركائز علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة.
31. علي أسعد وطفة، بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.
32. مطاوع محمد بركات، العدوان والعنف في الأسرة، مجلة عالم الفكر، المجلد 27، العدد 4، الكويت، 1999.
33. ر.بوردون رف بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ت د.سليم حداد، ط1، 1968.
34. د. مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2007.
35. هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، ط2، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1975.
36. علي حسين حطيم، السلطة الأبوية في الأسرة العراقية المتغيرة، مجلة الأستاذ، العدد203، 2012.
37. د. أسماء جميل رشيد، العنف الاجتماعي، دراسة لبعض مظاهره في المجتمع العراقي – مدينة بغداد أنموذجاً، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2007.
38. أمل سالم العواودة، العنف ضد الزوجة في المجتمع الأردني، دراسة اجتماعية لعينة من الأسر في محافظة عمان، ط1، مكتبة الفجر، 2002.
39. مصطفى حدية، التنشئة الاجتماعية، ت محمد بن الشيخ، منشورات كلية الآداب والعلوم، الرباط، 1966.
40. مصطفى عمر حمادة، علم الإنسان، مدخل لدراسة المجتمع والثقافة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007.
41. د. قيس النوري، الأنثرويولوجيا النفسية، دار الحكمة للطباعة والنشر،بغداد، 1990.
42. سوبناهانت وجيد فرهيلتن، نمو شخصية الفرد والخبرة الاجتماعية، ت قيس النوري، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1988.